

بنت الواسطي

بنت الواسطي

هي الشيخة ، الصالحة ، العابدة ، المسندة ، المعمرة " أمة الرحمن ، ست الفقهاء ، بنت الإمام " تقى الدين إبراهيم بن علي ابن أحمد بن فضل بن الواسطي " ، الصالحية ، الحنبلية .

ولدت تقريباً في سنة ثلاث وثلاثين للهجرة النبوية الكريمة وسمعت من إبراهيم بن خليل ، وغيره ، وسماعها قليل ، لكن لها إجازات عالية من " جعفر الهمداني " ، وأحمد بن المعز الحرّاني وعبد الحميد بن بنيان ، وعبد اللطيف بن القبيطي وطبقتهم " وروت الكثير " وسمعوا منها - رحمها الله تعالى سنن ابن ماجه - وعلوم أخرى (١) .

ويذكرها صاحب أعلام النساء فيقول : " هي ست الفقهاء بنت إبراهيم بن علي بن أحمد الواسطي الصالحية ، وكانت محدثة فاضلة .

ولدت سنة ٦٣٢ هـ سنة إثنين وثلاثين وستمائة وأجاز لها " جعفر ابن علي الهمداني " ، وعبد اللطيف القبيطي وأحمد بن العز الحرّاني ، وآخرون وسمع عليها مسند " موسى بن جعفر بن محمد " وجزء فيه فوائد " حسّان لأبي محمد الرهاوي ، وقصيدة من إنشاء " الحافظ السلفي " والجزء الأول من حديث " عبدالله بن محمد حبان " وفوائد أبي علي عبدالرحمن بن محمد النيسابوري بإجازتها من " جعفر بن علي بن هنشة الله الهمداني " وحديث أبي منصور الخوجاني بإجازتها من " جعفر أبي

(١) أسير أعلام النبلاء / للذهبي ج١٣ ص ٤٢٢ ط دار الفكر .

منصور الخوجاني " ، وحديث " حبيب الأنصاري " ، "وخزيم الطائي " بإجازتها من " عبدالعزيز " ، وجزء من كرامات الأولياء " للحسن الخلال " وذلك بإجازتها من " ابن العليق " والجزء الثالث من سند " سعد بن أبي وقاص - رضى الله عنه - وذلك بإجازتها من جعفر الحضري ، وجزء فيه فوائد منتخبة من حديث " إسماعيل بين محمد الصقار " وجزء فيه حكايات عن الشافعي وغيره ، وستة مجالس من أمالي البختری وجزء محمد الراقى وكتاب " الفرج بعد الشدة " وحديث " أبى بكر محمد بن عبدالله الأبهري " بإجازتها من " كريمة ، وقرىء عليها " أمالى محمد بن مخلد العطار " وذلك بإجازتها من " عبداللطيف القبيطى ، وخرج عنها كتاب " بغية الملتمس " فى تساعيات " حديث مالك بين أنس " تخرىج صلاح الدين العلائى (١) .

فمن هذه السيرة العطرة التى تبيح بعبير علمها الفواح ، وذكائها المفرط ، وغزارة علمها ، وأنها كانت تضرب بسهم وآخر فى العلوم والمعارف مما يدل على ورعها ، وزهداها ، وصلاحها ، وتقواها وصدق الله تعالى إذ يقول : " واتقوا الله ويعلمكم الله " كما انها تعد قدوة حسنة ، صالحة لنسائنا ، وفتياتنا فى التعبد ، وتحصيل العلوم والمعارف ، كما أن سيرتها الذكية تدعو طلاب وطالبات العلم إلى المثابرة ، والاجتهاد ، والجهاد فى سبيل تحصيل العلم ، فإن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصى .

(1) أعلام النساء / ج٢ ص١٦١ وما بعدها .

سألت وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاصي
وتوفيت رحمها الله تعالى في ربيع الآخر سنة ست وعشرين
وسبعمائة ولها من العمر اثنتان وتسعون سنة (١) .

وفي مرآة الجنان يذكرها " الياféى " ، فيقول : " ماتت المعمرّة أمة
الرحمن ، ست الفقهاء بنت الشيخ " تقى الدين إبراهيم الواسطى "
بالصالحية سنة ست وعشرين وسبعمائة عن ثلاث وتسعون سنة وكانت
مباركة صالحة ، وهى والدة " فاطمة بنت الدبّاسى " (٢) أما صاحب
أعلام النساء فيقول : " وتوفيت بدمشق سنة سبعمائة وست وستين
للهجرة والأول أصح وأرجح وأن وفاتها كانت فى ربيع الآخر سنة ست
وعشرين وسبعمائة رحمها الله تعالى ..

(١) السيرة " مرجع سابق " ، ص ٤٩٢ .

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان / الياféى ج٤ ص٢٠٧ ، دار الكتب العلمية - لبنان .

الصبر فى خبر من غير / للذهبي ج٤ ص٧٧ ، والوفى بالوفيات ج١٥ ص١١٧ .

ومعجم الشيوخ رقم ٣١٨ والمعين ٢٣٥ .

obeyikandi.com

عائشة بنت
عبد الله بن عاصم الأندلسية

obeyikandi.com

عائشة بنت عبد الله بن عاصم الأندلسية

هى الزاهدة ، والورعة التقية ، والمؤمنة النقية ، عائشة بنت عبدالله بن عاصم الأندلسية ، والتي مكثت عشرين سنة أو أكثر من ذلك لا تأكل شيئاً البتة ، وأمرها فى ذلك شائع لا ريب فيه ، وهى خالة القائد " أبى إسحاق بن بلال " ، وكانت " عائشة الأندلسية " مقيمة بغرفة لها بأعلى الجامع المعلق بالجزيرة الخضراء بالأندلس ، وذكر الشيخ " عزالدين الفارونى " أن امرأة كانت بناحية " وساط " أقامت مدة مثل " عائشة الأندلسية " ، لا تأكل شيئاً ، وذلك بعد الستمئة ، كما كانت هناك امرأة أخرى فى دولة " المعتضد " نجوارزم .

وأنها كانت لا تأكل شيئاً ، وذكر قصتها " الحاكم " فى تاريخ نيسابور ، وتوفيت عائشة الأندلسية رحمها الله تعالى سنة سبعمئة وخمسة (١) .

ولا غرو فى قصة هذه المرأة " عائشة بنت عاصم الأندلسية " ومثيلاتها من الزاهدات حيث إن الزهد ، والورع ، والتقوى ، تورث القناعة ، وتقوى المسلم شرَّ البطننة ، فذلك الغذاء غذاء روحى ، وصدق الله تعالى إذ يقول : " وهو الذى يطعمنى ويسقئ " فالطعام الحقيقى والغذاء الحقيقى ، هو الغذاء الروحى ، وذلك يكون على قدر درجة العبد من

(١) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة / لابن حجر العسقلانى ج٢ ص١٤٤ .

الصلاح ، والإيمان ، والورع ، والتقوى ، ودليل ذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن بهن صلبه فإن كان ولا بدَّ فاعلاً فنثت لطعامه ، وثلت لشرابه ، وثلت لنفسه فالغذاء الحقيقي للمسلم هو غذاء الروح ، ومتى شبعت الروح استغنت بذلك عن كل ألوان الأطعمة .
ندعو الله أن يرزقنا العفاف والتقوى ، والقناعة وغذاء الروح فهو نعم الغذاء .

ابنة أبي الحسن الملكي

obeyikandi.com

ابنة أبي الحسن المكي

كان لأبي الحسن المكي - رحمه الله تعالى - ابنة مقيمة بمكة المكرمة - وكانت زاهدة ، ورعة ، تقية ، بل يروى أنها كانت أشد ورعاً منه ، وكانت -رحمها الله تعالى- لا تقف إلا ثلاثين درهماً ينفذها إليها أبوها في كل عام مرة واحدة ، وهذا المبلغ من المال كان يدخره من ثمن الخوص الذي يصنعه ، ويبيعه ، ويروى لنا - ابن الرواس " فيقول : " جئت أودع " أبا الحسن المكي " للحج ، واستعرض حاجته ، وأسأله أن يعو لي فسلم المكي إليّ قرطاساً وقال : " تسأل " بمكة " عن الموضوع الفلاني ، عن فلانة وتسلم هذا إليها فعلمت أنها ابنته (1) .

فأخذت القرطاس وجئت فسألت عنها فوجدتها مشغولة بالعبادة والزهد ، ووجدتها بالعبادة والزهد أشد اشتهاً من أن أتخفى يعنى حين ذهب ليسأل عنها ، وكان يظن أنه سيجد عناءً وتعباً شديدين في التعرف عليها ، والوصول إليها ، ولكن خاب ظنه ، فوجدها مشهورة بين الناس بالزهد ، والورع ، والتقوى بحيث لم تكن خافية على أحد ولم يجد عناءً ، ولا تعباً في الوصول إليها ، فتتبع نفسي أن يضل إليها شيء من مالي يكون لي ثوابه ، يعنى أراد أن يدفع لها شيئاً من ماله الخاص زيادة على ما أرسله لها أبوها ، وعلمت إنني إن دفعت لها ذلك لم تأخذه ، ففتحت القرطاس وجعلت الثلاثين درهماً " خمسين " درهماً ورددته كما كان ،

(1) صفة الصفوة / ج ٤ ص ٤٤ بتصرف .

وسلمته إليها فقالت -رحمها الله تعالى- أى شىء خبر أبى ، فقلت : سلامة ، فقالت : قد خالط أهل الدنيا ، وترك الانقطاع إلى الله تعالى ؟ فقلت لها : أسألك بالله ، وبمن حجبت إليه عن شىء فتصدقنى ؟ يعنى تريد أن تقول له : أسألك بالله إن سألتك عن شىء تقول لى الصدق والحق ، فقال لها الرجل : نعم فقالت له : خلطت بهذه الدراهم شيئاً من عندك ؟ فقلت لها : نعم ولكن من أين علمت بهذا ؟ فقالت له : ما كان أبى يزيدنى على الثلاثين درهماً شيئاً لأن حاله لا يحتمل أكثر منها إلا أن يكون ترك العبادة فلو أخبرتتى بذلك ما أخذت منه أيضاً شيئاً وهى تريد أن تقول : إن كان هذا المبلغ الذى أرسله زيادة لى يكون سبباً فى شغل أبى عن العبادة ، فأنا فى غنية عنه ولا آخذ شيئاً منه البتة لأنه حين آخذ هذا المبلغ ويشغل أبى عن عبادة الله ، والانقطاع إليه ، والتبتل يكون ذلك عقوقاً منى لأبى ، ثم قالت للرجل خذ الجميع فقد عفتتى من حيث قدرت أنك تبرئى ، فقلت ولم ؟ فقالت ابنة المكى ألا آكل شيئاً ليس هو من كسبى ، ولا كسب أبى ، ولا آخذ من مالٍ لا أعرف كيف هو شيئاً ، ورفضت أن تأخذ منه المبلغ الذى وضعه على الثلاثين درهماً ، وذلك غاية فى الزهد ، والورع ، والتقوى والحرص على تحرى الحلال .

فقلت لها : خذى منها الثلاثين درهماً ، والتى أرسلها إليك أبوك وردى على الباقي ، فقالت : لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم لأخذتها ولكن قد اختلطت بما لا أعرف جهته ، فلا آخذ منها شيئاً ، وأنا الآن أقتات إلى الموسم الآخر يعنى إلى السنة القادمة المزابل لأن هذه كانت

قوتى تلك السنة ، فقد أجمعتنى أى جعلتنى أجوع إلى العام القادم ، ولولا انك ما قصدت إذائى لدعوت عليك فانظر إلى هذه المرأة الزاهدة ، الورعة ، التقية والتي رفضت أن تأخذ شيئاً من الخمسين درهماً ، ولها فى هذا المال ثلاثين درهماً ، والتي أرسلها إليها أبوها ، محتجة بأن العشرين درهماً التى أضافها الرجل إلى المبلغ الذى أرسله إليها أبوها لا تستطيع عزلها من الثلاثين درهماً وذلك غاية فى تحرى الحلال ، وعزمت على أن تعيش السنة كلها على ما تجده من الطعام فى أكوام الزبالة ، ثم قالت له : بهذا العمل ، وذلك التصرف قد أجمعتنى العام كله بحق هذه امرأة صالحة ، وقدوة حسنة ، بل هى عملة نادرة خاصة فى هذا العصر الأنكد الذى لا يستريح فيه جلّ الناس ومعظمهم إلا إذا أكلوا حراماً .

قال الرجل : فاغتنمت ، وعدت إلى البصرة ، وجئت إلى أبى الحسن ، وأخبرته ، واعتذرت إليه وقال لى : لا آخذها وقد اختلطت بغير مالى ، وقد عققتنى وإيّاها ، قال : فقلت له : فما أعمل بالدراهم ؟ قال لى : لا أدرى ، فمازالت مدة أعتذر إليه ، وأسأله : ما أعمل بالدراهم ؟ فقال لى بعد مدة : تصدق بها ففعلت (1) .

فانظر أخى المسلم ، وأختى المسلمة إلى الرجل حيث رفض أن يسترد الدراهم من الرجل حيث أنها اختلطت بمال غيره ولا يدري من أين اكتسب هذا الرجل الدراهم من حلال أم من حرام فكان صنيعه هذا شبيهاً

(1) ذاته صد ٤٤٨ .

بصنيع ابنته ، ولا نستطيع أن نقول إلا ما قاله العربى فى أمثاله " العصا من العصية " والتشبيه مع الفارق الكبير وحسنا قول النبى -صلى الله عليه وسلم- : " الحلال بيّن والحرام بين " ندعو الله -عز وجل- أن يرزقنا من حلال ، وأن يجعل طعامنا طيباً ، وعملنا مقبولاً.

وصلى الله وسلم على سيرنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

آمنة الرَّمليَّة

obeyikandi.com

آمنة الرَّمْلِيَّة

وهي عابدة من عابدات القرن الثالث للهجرة النبوية الكريمة وكانت هذه العابدة منقطعة للعبادة ، والتبَّئَل فكان أكثر زهاد زمانها يترددون عليها ، ويتبركون بها . فدخل عليها يوماً بعض العباد يزورونها ، فقالت لهم : ما شأنكم ؟ قالوا لها : نسألك الدعاء . فقالت : لو أن الخاطبين خرسوا ما تكلمت عجوزكم من البكم ، ولكن الدعاء سنة ، ثم قالت : " جعل الله قِراكم من بيتي الجنة ، وجعل ذكر الموت بيني وبينكم على بال ، وحفظ علينا الإيمان وهو أرحم الراحمين⁽¹⁾ فانظر أيها الأخ المسلم إلى هذه العابدة الرملية حين سألتها الناس الدعاء فقالت إن الدعاء سنة ثم نراها تقول : جعل الله ضيافتكم من بيتي الجنة وجعل ذكر الموت بيني وبينكم على بال أي في تذكر دائم للموت ، وهو هازم للذات ، ومفرق الجماعات وحفظ الله علينا الإيمان وهو أرحم الراحمين .

فإن دلَّ هذا الدعاء على شيء إنما يدل على الزهد في الدنيا والورع ، والتقوى وخشية الله - عز وجل - وهذا الأمر ، وذلك الشأن ديدن العباد جميعاً وهو الاتجاه إلى الله بكليتهم ، والفناء في حبه - عز وجل - والعمل على طاعته وخشيته - سبحانه وتعالى - ويروى أن "بشر بن الحارث الحافى" مرض فقد ذهب إليه "آمنة" من "الرَّمْلَة" لتعوده في مرضه فبينما هي عنده إذ دخل الإمام "أحمد بن حنبل" يعود "بشر بن

(1) أعلام النساء / جـ ص ١٠ ، ولوائح الأنوار في طبقات الأخيار للشعراني .

الحارث " ويسأل عنه ، فقال الإمام " أحمد بن حنبل " مَنْ هذه ؟ فقال له : بشر بن الحارث : هذه " آمنة الرملية " بلغها علّتي ومرضى فجاءت من " الرملة " تعودنى - فقال له " الإمام " أحمد بن حنبل " فسلها تدعوا لنا - وفى رواية أخرى " فأرسلها تدعوا لنا فقالت " آمنة الرملية " : " اللهم إن " بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل " يستجيرانك من لئار ، فأجرهما " (1) .

فانظر هداك الله إلى هذه المرأة التى بلغت من الزهد والورع ، والتقوى ما يرفعها إلى هذه الدرجة وهى أن يسألها الإمام " أحمد بن حنبل " الدعاء لهم ، فإذا بالمرأة الصالحة تقول فى أدب وحياء كبيرين " اللهم إن " بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل " يستجيرانك من لئار ، فأجرهما " ، فهو دعاء محبب إلى النفس ، ودليل على خشيتهم لله - عز وجل - ، وخوفهم من نارة ، وطمعهم فى جنته ، وهذا ديدن العبّاد ، وطبع الزّهّاد ، وأمل المتقين ، فلقد كانت " رابعة العدوية " تقول : " والله ما عبدته طمعاً فى جنته ، ولا خوفاً من ناره ، وإنما عبدته شوقاً إليه ، وكل الزهاد فى هذا الأمر " رابعة " وتقول فى ذلك الأمر :

أحبك حبين حبّ الهوى وحب لأنك أهل لئلك

(1) الدنيا للصالحات من النساء / ليوسف بن عبدالهادى ، وصفة الصفوة لابن الجوزى . بتصرف .

أمة الجليل
بنت عمرو العدوية

obeyikandi.com

أمة الجليل بنت عمرو العدوية

كانت " أمة الجليل بنت عمرو العدوية " عابدة من عابدات "البصرة " ، وزاهدة من زاهداتها كانت تأكل الخبز وحده وتقول : " ما انشرح إلا بدخول الليل كله " . وتقول أيضاً : إذا جاء السحر دخل قلبي الروح ، وحدّث أبو عاصم أنه : اختلف العابدون فى الولاية فقال بعضهم : " إذا استحقها عبد لم يهتم بشيء إلا ناله فى دين كان أو دنيا ويقول آخر : " الولي لا يعصى غير أنه لا يدرك الشيء الذى لا يريد من الدنيا ليهمه ، ولا يدركه إلا بطلبه كأنهم يقولون : ندعوا فنجاب وقال آخرون : " المستحق للولاية لا يعرض لانتقاص حظه من الآخرة فتكلموا فى ذلك بكلام كثير فأجمعوا على أن يأتوا امرأة من بنى عدى يقال لها : " أمة الجليل بنت عمرو العدوية " وكانت منقطعة جداً من طول الاجتهاد فأتوها فاستأذنوا عليها فأذنت فعرضوا عليها اختلافهم وما قالوا . فقالت : " ساعات الوليّ ساعات عن الدنيا ، ليس للوليّ فى الدنيا من حاجة (١) "

فانظر أخى المسلم إلى هذه العابدة البصرية ، والزاهدة النقيّة والتي عاشت تأكل الخبز وحده لا شيء معه من إدام ، ولا طعام غيره، وكانت تفرح ، وينشرح صدرها بدخول الليل لتمتع نفسها ، وقلبها ،

(١) أعلام النساء / ج ٨٢ وما بعدها ، وصفوة الصفوة / لابن الجوزى ولواقح الأنوار فى طبقات الأخیار / للشعرانى .

وروحها بالعبادة والذكر ، والاستغفار ، وتخلو بربها بعيداً عن ضوضاء الناس وعجيج الكون وبذلك تكون فى راحة وأنس فى خلوتها حيث الصَّفَاء ، وطهارة القلب ، وإعمارها بذكر الله حيث الهدوء النفسى، يقول تعالى :

"... أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " (١) .

وحين اختلف العبَّاد فى الولاية وذهبوا فيها كل مذهب فأجمعوا على أن يحجوا إليها ، والاستماع إلى رأيها فقالت لهم : ساعات الوليِّ هى ساعات عن الدنيا ، وليس للولى فى الدنيا من حاجه فاستراحوا لرأيها ، واطمأنوا لقولها فإن الوليِّ لا مطمع له فى الدنيا ، إنما طمعه وطموحاته ، وآماله أن يفوز بالدار الآخرة ، وهذا الأمر ديدن العبَّاد وهجَّيراهم ، وطبعهم ، وسجاياهم ، فقد روى أن رجلاً سأل " الحلاج " قائلاً : أريد الوصول إلى الله تعالى فقال له : الحلاج : بينك وبين الله خطوتين :

الأولى : أن تضرب بالدنيا وجه عشاقها .

والثانية : أن تسلم الامور لأربابها .

لا تدبّر لك أمراً فألوا التدبير هلكاً
سالم الأمر إلينا نحن أولى بك منك

(1) سورة الرعد : من الآية ٢٨ .

خنساء بنت خَدَّام

هى العابدة ، الزاهدة ، الورعة ، التقية " خنساء بنت خدام " ، وليست صحابية ، يروى لنا حفص بن عمرو الجعفى . فيقول : " كانت " باليمن " امرأة من العرب جليلة ، جمهورية حسناً وجمالاً كأنها بدنة ، يقال لها : " خنساء بنت خَدَّام " ، فصامت أربعين عاماً حتى لصق جلدها بعظمها ، وبكت حتى ذهب عيناها من كثرة البكاء ، وقامت الليل مصلية ، وعابدة حتى أقعدت من رجليها وكان " طاووس ، ووهب بن منبه " يعظمان قدرها ، وكانت " خنساء بنت خَدَّام " إذا جنَّ عليها الليل ، وهذأت العيون ، وسكنت الحركات تتادى بصوت حزين لها فتقول : " يا حبيب المطيعين ، إلى كم تحبس خدود المطيعين فى التراب ، ابعثهم حتى ينجزوا موعدك الصادق الذى أتعبوا له أنفسهم ثم أنصبوها ، قال : فيسمع البكاء من الدور حولها (١) .

فهذه امرأة عابدة ، ورعة ، صادقة ، فقد كان إذا جنَّ عليها الليل ، وأسدل أستاره ، ونام الكون ، ولجأ الناس إلى مضاجعهم ، قامت تصلى الليل كله ، ثم نراها تتساءل قائلة : " يا حبيب المطيعين ، وتقصد الله - عز وجل - إلى كم ، وإلى متى تحبسنا فى التراب وتجعلنا رهن القبور ، وكأن المرأة تستعجل الخروج من القبر ، والنفخ فى الصور ، والخروج من الحياة البرزخية لتحظى هى والعباد من أمثالها بوعده الله

(١) صفة الصفة / ج ٤٦١ .

الصادق ، والفوز بنعيم الجنة جزاء ما قدمت من عمل صالح حيث وعده الحق للطائعين بالثواب الجزيل ، وقد كانت " خنساء بنت خَدَّام " تبكى بكاءً مرّاً ، وتنتحب انتحاباً شديداً خشية من الله - عز وجل - حتى كان يسمع بكاءها من المنازل حولها وذلك الأمر كان ديدن العباد ، وطبع الزهَّاد ، وخلق المتبتلين الذين يعملون حساب الآخرة ، ولقاء الله - عز وجل - وكأنها وعت ، وفهمت ، وفطنت إلى قول بهلول المجنون :

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ولا تنام عن اللذات عيناه
أفنييت عمرك فيما لست تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه

يرحمها الله تعالى

سَوِيَّة

سَوِيَّة

وهذه عابدة أخرى ، زاهدة ، ورعة ، نقيّة ، تخشى الله - عز وجل - تدعى " سوية " فعن أبي هشام يقول : " قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها : "سوية" فنزلت في بعض ديارنا فكنت أسمع لها من الليل نحيباً ، وشهيقاً ، فقلت للجارية أشرفى على هذه المرأة فانظري ما تصنع ؟ فإذا هي قائمة مستقبلة القبلة ، رافعة رأسها إلى السماء ، فقلت : " ماتصنع ؟ قالت : ما أراها تصنع شيئاً غير أنها لا ترد طرفها عن السماء فقلت : " اسمعى ما تقول فقالت : لا أفهم كثيراً من قولها غير أنى أسمعها تقول : " أراك خلقت " سوية " من طينة لازبة غمرتها بنعمتك تغذوها من حال إلى حال ، وكل أحوالك لها حسنة ، وكل بلائك عندها جميل ، وهى مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة فى إثر فلتة أترى أنها تظن أنها لا ترى سوء فعالها ؟ بلى وأنت على كل شيء قدير .

ثم صرخت وسقطت ، ونزلت الجارية فأخبرتني بسقطتها ، فلما أصبحنا نظرنا فإذا هى قد ماتت (١) .

أرأيت هذه المرأة العابدة ، السوية " سوروية " القانتة الخاشعة ، الخائفة من لقاء ربها- عز وجل -

(١) ذاته ص ٤٦١ .

حيث كان من يجاورها يسمع نحيبها ، وبكائها الشديد ، وشهيقها الذى يدل على خوفها الشديد من الله - عز وجل - حيث كانت ترفع رأسها إلى السماء ضارعة ، وراجية ضارعة لله ، وراجية ثوابه ، وحسن مغفرته ، فتتاجيه قائلة : يارب . خلقت " سوية " من طين لازب ، ثم غمرتها بنعمك ، وأغرقتها بفضلك ، وكل أحوالك لها حسنة ، وكل بلائك عندها جميل ، وهذا يدل دلالة حاسمة على أنها راضية بالقضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، تتشد الآخرة وثوابها ، والجنة ونعيمها ثم تعترف المرأة ، وتؤمن إيماناً صادقاً بأنها مع هذه العبادة كلها ، والانقطاع إلى الله - عز وجل - تقرّ بأنها مع هذا كله متعرضة لغضب الله - عز وجل - وذلك لمعصية تعصياها ، أو فلتة من الفلتات التى يرتكبها المسلم فى لحظة من لحظات الضعف ، وإغراء الشيطان ووسوسته ، وهى تظن بالله ظناً حسناً فهو على كل شىء قدير ، وبأفعال عباده بصير .

وبعد هذه المناجاة بينها وبين ربها - سبحانه وتعالى - نراها تصرخ ، وتسقط على الأرض ، وتفيض روحها إلى بارئها وهى تتاجيه بهذه الكلمات أنفة الذكر ، فيالها من حسن خاتمة للعابدة الزاهدة، السوية " سوية " .

يرحمها الله تعالى ..

عابدة مجهولة الاسم

obeyikandi.com

عابدة مجهولة الاسم

وهذه عابدة أخرى ، عاشت فى زمن ، جبّار الجاهلية ، وعملاق الإسلام " عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- وهذه المرأة تعد أنموذجاً حياً ، وطراراً فريداً ، وقدوة حسنة للمرأة المسلمة فى كل عصر من الأعصر ، وزمن من الأزمنة وخاصة فى هذا العصر الأتكد الذى تخلت المرأة فيه عن واجباتها الإسلامية ، فغشيت الأندية ، والأماكن العامة ، واختلطت بالرجل اختلاطاً ينقص من قدرها ويقلل من شأنها ، بل ويهدر كرامتها أحياناً .

فهذه المرأة التى عاشت فى زمن الخليفة العادل " عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- يروى لنا عنها " عبدالله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جاره أسلم " فيقول : " بينما أنا مع " عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- وهو يعشّ المدينة يعنى يطوفها ليقف على أحوال الرعية حيث أنه مستؤل عنها ، إذا أصيب بالإعياء والتعب فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل ، وإذا امرأة تقول لابنتها يا ابنتى قومي إلى ذلك اللبن فامدقيه بالماء أى اخلطيه بالماء حتى يكون كثيراً ، وغزيراً وفيراً لنجنى من وراء ذلك ربحاً كبيراً ، فقالت لها : يا أماه وما علمت ما كان من عزمه أمير المؤمنين اليوم ؟ قالت المرأة : وما كان من عزمته يا بنيّة قالت : إنه أمر منادياً فنادى ألا يشاب اللبن بالماء يعنى لا يخلط اللبن بالماء فإن ذلك غشّ وحرام ، فقالت لها : يا بنيّة قومي إلى اللبن فامدقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك " عمر " ولا منادى " عمر " فقالت

الصبيّة لأمها " يا أماه ما كنت لأطيعه فى المأ وأعصيه فى الخلاء " (١) .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه- يسمع كل ذلك الحوار والذى دار بين المرأة وابنتها ، فقال رضى الله عنه- : يا أسلم عِلم اللباب ، أى ضع عليه علامة حتى إذا ما عاد إليه مرّه ثانية عرفه ، واعرف الموضع ، ثم مضى رضى الله عنه- فى مهمته وهى العسس حتى أصبح فلما أصبح رضى الله عنه- قال : يا أسلم امض إلى الموضع فانظر مَنْ القائلة ، وَمَنْ المقول لها وهل لهم من بعل ؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية " أيم " يعنى لا زوج لها ، والتي طلبت منها أن تغش اللبن هى أمها ، وليس لهم رجل ، فأتيت -عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه- فأخبرته بذلك فدعا "عمر" ولده فجمعهم يعنى جمع أبناءه كلهم ، ثم قال لهم هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه ، ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه المرأة ، فقال "عبدالله" لى زوجة ؟ وقال : عبدالرحمن : لى زوجة ، وقال عاصم : يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى ، فبعث إلى الجارية فزوجها من "عاصم" فولدت "لعاصم" بنتاً وولدت البنت بنتاً ، وولدت الإبنة "عمر بن عبدالعزيز" ويروى أنها ولدت "لعاصم" بنتاً ، وولدت البنت "عمر بن عبدالعزيز" كذلك نسبه العلماء (١) .

(1) صفة الصفوة / ط صد ٤٠٩ وما بعدها .

(1) ذاته صد ٤١٠ .

أرأيت علام اختار "عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- الفتاة التي يزوجها لابنه "عاصم" ؟
إنه اختار الدين ، وذلك منظور إسلامي ، وهو قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" فاضفر بذات الدين تربت يداك " أى التصقت بالتراب وهو كناية عن الفقر . فكان زواج "عاصم" من هذه الزوجة المسلمة ، زواجاً مباركاً تشمله الأمانة ويحيط به الخلق وتغمره السعادة ، سعادة الإيمان ، والإخلاص ، فقد كانت هذه الفتاة صادقة الإيمان حيث واجهت أمها بمقولة ملؤها الإيمان ، والخشوع ، والخوف من الله -عز وجل- حيث قالت لأمها : " ما كنت لأطيعه فى المأ وأعصيه فى الخلاء ، وذلك رداً على الأم التي حاولت إقناع إبنتها بأن "عمر" لا يراها ، ولا حتى منادى "عمر" فأقنعتها بأنه إذا كان "عمر" ومنادى "عمر" لا يرانى، ربَّ "عمر" يرانى ، وذلك منتهى الصدق فى الإيمان، وتحرى الحلال ، وتلك درجة راقية فى الإيمان بالله ، ومقام عظيم وهو مقام الإحسان حين سأل جبريل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال له : " ما الإحسان ، ثم كانت الإجابة : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

ولذلك كافأها "عمر" -رضى الله عنه- وإن شئت فقل : كانت المكافأة من الله -عز وجل- بأنه فيض لها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- فجمع أولاده وعرض عليهم الاقتران بها ، فاعتذر الأول والثانى على أن لكل واحد منهما زوجة ثم انبرى "عاصم"

وصارح أباه بأنه لا زوج لى فزوجنى إيّاها ، فتزوجها "عاصم" وأنجبت له بنتاً ، وأنجبت البنت بنتاً وتزوجت وولدت الخليفة العادل ، أمير المؤمنين "عمر بن عبدالعزيز" خامس خلفاء بنى أمية ، وبترضى عنه لأنه نهج نهج الخلفاء الراشدين فى العدل ، والأمانة ، والخلق ، وخشية الله - عز وجل - .

وانظر إلى مقولة "عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- حيث قال لأبنائه تذكىة للفتاة المسلمة ، الخاشعة ، الأمينة "لوكان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبق منكم أحد إلى هذه المرأة " وتلك تذكىة لهذه الفتاة المسلمة ، من "عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- ولعل ذلك الأمر رغب فيها "عاصماً" .

ومقولة أمير المؤمنين -رضى الله عنه- آفة الذكر تعنى ألوان فيه بقية من جماع ما سبقة إليها أحد ، ومعنى ذلك أن المرأة الصالحة كفاً لأن يتزوجها رئيس الدولة فإن "عمر -رضى الله عنه- كان رئيساً للدولة الإسلامية يومذاك كما أن العالم كفاء لبنت السلطان تكريماً لعلمه ، فالعلم يرفع كفاءته ، ويعلى قدرته حتى جعله العلم كفاء لأن يخطب بنت السلطان ، فانظر أخى المسلم ، وأختى المسلمة إلى الصلاح والتقوى ، والعلم ، كيف يرفع العبد من الثرى إلى الثرى ومن الحضيض إلى السماك الأعزل ، وصدق الشاعر إذ يقول :

العلم يرفع بيوتاً لا عماد لها والجهل يهدم بيوت العز والكرم
وحسبى قول أبى العتاهية :

◆ نساء عابدات ◆

نسباً يقاس بصالح الأعمال
فيداه بين مكارم ومعالي
تاجان تاج سكينه وجلال

وإذا تتاسبت الرمال فما أرى
وإذا التقى الله امرؤ وأطاعه
وعلى النقي إذا ترسخ في النقي